جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد الخامس والأربعون ج1
تشرين الثاني /2021

تقييم الفئات المشاركة في الثورة الدستورية الايرانية (1905- 1911)

م.م. سرمد سعد يوسف
جامعة واسط – مديرية شؤون الاقسام الداخلية

م.م اسراء نوري غلام
وزارة التربية / تربية محافظة واسط

الخلاصة

تعد الثورة الدستورية الإيرانية الحدث البارز والأكثر أهمية في تاريخ إيران الحديث والمعاصر في القرن العشرين، لاسيما إذا أدركنا ان تلك الفترة حدثت بفعل العوامل الداخلية بصورة مباشرة، ومن الآثار المتراكمة التي القت بظلالها على فئات الشعب الإيراني، وهذا لا يعني ان الثورة كانت بمعزل عن العوامل الخارجية التي أدت دوراً بالغ الأهمية في اندلاع الثورة في وجه الاستبداد القاجاري. على أن تقييم الأحداث ومجريات الثورة من المواضيع المهمة التي كتب عنها الكثير من المؤرخين الإيرانيين وغيرهم، هنا تأتي مهمة تقييم الثورة الدستورية بوصفها الحدث الكبير في تاريخ إيران، موضوع التقييم لكل مفاصل الثورة من العوامل الداخلية والخارجية والفئات المشاركة بها وأدوارهم على مختلف مستوياتهم وانتماءاتهم الدينية والعرقية، غير متغاضين عن التراكمات والترسبات التي سبقت الثورة كما في عهدي ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه، وأن دور رجال الدين والمثقفين والمجددين، وما للصحف والجمعيات أيضاً من دور فاعل في انطلاق شرارة الثورة والخطب النارية التي أظهرت مفاسد البلاط والشاه القاجاري وسوء إدارة البلاد ولجميع نواحيها ما هي إلا عوامل ساعدت في انفجار الوضع آنذاك، كما أن الأحداث البارزة في الوزارات والإدارات التي تأسست بين (1905 – 1911)، كانت الأبرز على مسرح الحدث الدستوري، وهي محل التقييم لغاية وأد الثورة من لدن القوى الأجنبية المتمثلة بروسيا وبريطانيا والقوى الرجعية في إيران، لذا كان البحث ليس كباقي البحوث، فهو يعني كتابة خاتمة أو استنتاجات افرزتها الأحداث المتسارعة في تلك المدة، وان بعض الأحداث تصلح عنوانا مستقلا لبحث أو دراسة بل عنوان رسالة أو أطروحة أكاديمية.

تقسم هذه الدراسة إلى عدة محاور، مع تقسيم كل محور الى مجموعة نقاط، أولها، تتبع اتجاهات تحليل الثورة الدستورية والعوامل الداخلية والخارجية وتقييمها، وثانياً، تقييم دور رجال الدين والخطباء فيها، وثالثاً، تقييم دور المثقفين والمتنورين، ليتضمن المحور الرابع، تقييم لدور الصحافة في الثورة، ومن ثم تقييم دور الجمعيات السرية والثورية ضمن المحور الخامس. أما السادس فيدور حول تقييم دور المرأة الإيرانية، وسابعاً، تقييم اعضاء الدورة الأولى للمجلس الوطني وأحداث حلّه، وتختص

ثامناً، بتقييم (فترة الاستبداد الصغير) وثورة تبريز، فيما يتناول المحور التاسع: تقييم فتح طهران وفتح المجلس الوطني الإيراني الثاني، فيما خاتمة المحاور تقييما للإنذار الروسي ونهاية الثورة الدستورية. فيما تعتمد الدراسة على جملة من المصادر الفارسية والانجليزية مع استخدام المصادر العربية، آخذين بنظر الاعتبار الأساس التاريخي الموضوعي للتقييم.

الكلمات المفتاحية: الثورة الدستورية، الدولة القاجارية، المشروطة، رجال الدين، ايران، مظفر الدين شاه.

Evaluation of the Groups Participating in theIranian Constitutional Revolution (1905-1911)

Abstract.

The Iranian Constitutional Revolution is the most prominent and important event in the modern and contemporary history of Iran in the twentieth century, especially if we realize that that period occurred directly due to internal factors, and from the cumulative effects that cast a shadow on the categories of the Iranian people, and this does not mean that the revolution was isolated from the External factors, which played a very important role in the outbreak of the revolution in the face of Qajar tyranny. However, the evaluation of the events and the course of the revolution is one of the important topics that many Iranian historians and others have written about. Here comes the task of evaluating the constitutional revolution as the major event in the history of Iran, the subject of evaluation of all aspects of the revolution from the internal and external factors and the groups participating in it and their roles at their various levels and their religious and ethnic affiliations Not condoning the accumulation and sedimentation that preceded the revolution, as in the eras of Nasir al-Din Shah and Muzaffar al-Din Shah, and that the role of clerics, intellectuals and reformers, and the effective role of newspapers and associations in sparking the revolution and fiery speeches that revealed the corruptions of the court and the Qajar Shah and the mismanagement of the country and all its aspects They are only factors that helped in the explosion of the situation at the time, and the prominent events in the ministries and departments that were established between (1905 - 1911), were the most prominent on the stage of the constitutional event, and they are the subject of evaluation for the purpose of burying the revolution from the foreign powers represented by Russia and Britain and the reactionary forces in Iran Therefore, the research was not like

the rest of the research, it means writing a conclusion or conclusions produced by the accelerated events in that period.

Keywords: The Constitutional Revolution, The Qajar State, The Mashroota (Conditional), The Clergy, Iran, Muzaffar al-Din Shah.

أولاً . تقييم اتجاهات تحليل الثورة والعوامل الداخلية والخارجية:

ظهر اتجاهان عند المؤرخين في تقييم الثورة الدستورية الإيرانية، لكل منهما وجهة نظر مختلفة، فأصحاب الاتجاه الأول يعدّون ولادة الثورة الدستورية مجرد صناعة من صنائع السياسة البريطانية في إيران، وعدّها اصحاب هذا الاتجاه بأنها مجرد سلطة صدرت الى ايران وشعبها، وهي كانت غريبة وخارجية بالنسبة لهم، ولقد غضت هذه المجموعة أنظارها عن جهود وتضحيات الشعب الإيراني في سبيل كسب حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل ان هذه المجموعة من المؤرخين أنكروا الدور الخلاق للشعب الإيراني، وهنا يجب أن لا ننسى ان مثل هكذا رأي يفتقر الى الأصالة والمنطق التاريخي أو لا يعرف شيئا عن أهمية الثورة الدستورية، ودور المجتمع في قيادة الأحداث التاريخية وهذا الاتجاه لقي قبولاً واسعاً من المستعمرين والحكّام الموالين لهم (حسين ملكي زاويش، 1370ش، ص19؛ يونس مراويد، 1377ش، ص166).

أما الاتجاه الآخر وما يمثله، فقد رأوا ان الحركة الدستورية نشأت وانبعثت من رحم الشعب الإيراني، وانها نمت وترعرعت بين ثناياه، وانها أصيلة ولدت من الشعب ومعاناته، وقادها وأدارها اشخاص وطنيون محبون لوطنهم وشعبهم، وأيقنوا ان الظروف الاجتماعية والتاريخية هي التي مهدت وعبّدت الطريق أمامهم لقيام الثورة الدستورية. وإن أولئك القادة أخذوا دورهم الرئيس في تلك الثورة وقادوا الجماهير واستطاعوا، بل نجحوا في قطف ثمار الثورة (فيروزراد وجواد شيخي، 1393 ش، ص77). وحسب وجهة نظر هذه المجموعة من المؤرخين؛ فإن الأشخاص والقادة الذين وصلوا الى السلطة بعد فتح طهران مثلاً أمسكوا بزمام السلطة بقوة وأصدروا أوامرهم باسم الشعب وكانوا وطنيين أكثر من كونهم إيرانيي الانتماء، وكانوا قادة من الطراز الأول للشعب الإيراني، وهناك بعض الشواهد والأدلة العديدة المهمة التي توضح هذه الآراء، وأن الذين حصلوا على السلطة والنفوذ في صدر الثورة كانوا جميعاً عناصر وطنية، لم يكن لديهم اهداف أو طموحات أو مصالح شخصية أو ارتباطات أجنبية، ولم تبتغ تحقيق مكاسب على حساب آمال الشعب الإيراني وأحلامه من هذه الثورة (فيروزراد وجواد شيخي، 1393ش، ص20)، وان من عد هذا الاتجاه خاطئا سواء من المؤرخين أو السياسيين أو من سار على ذلك الخط الفكري كانت لهم أهداف خاصة بعيدة الغور وهي محسوبةً بصورة دقيقة

(حسين ملكي زاويش، 1370ش، ص20)، فالحقيقة هي ان ظلم ملوك القاجار ورجال البلاط والحكومة، وانتشار الفقر وما اداه الى ضغط الرأي العام (الشعب الإيراني)؛ كلها جعلت الشعب يترقب الأحداث التاريخية ويحاول الافادة من أية فرصة تسنح له للثورة وسحب البساط من تحت أقدام النظام الحاكم في إيران آنذاك، حيث ان في ظل هذه الثورة المناهضة لنظام الحكم، كان بعض القادة مطلعين على أوضاع وظروف الشعب الدينية والاجتماعية والاقتصادية ويحضون بثقة الشعب (حسين ملكي زاويش، 1370ش، ص89).

ويأتي هذا البحث بغية تقييم أثر العوامل الداخلية التي ساعدت على انطلاق الثورة الدستورية الإيرانية وأهميتها وتقييم ظروفها والعوامل التي شجعت على اندلاع شرارتها بشيء من التركيز، فسيلمس أن التطرق لدور العامل الخارجي سيكون مختصرا وعاما. فقد أدت التطورات السياسية التي حصلت في روسيا والصين، إلى التأثير على مفاهيم وأفكار الحرية والعدالة عند الشعب الإيراني البائس الذي كان يعاني بدوره من ظروف اجتماعية واقتصادية وهيمنة أجنبية على مقدراته فضلا عن سوء الإدارة وانشغال الحكام والشاه وبلاطه بالذات بالملذات الخاصة، فيما أدت الصحف وانتشار الأفكار اليسارية بين طبقة العمال الذين كانوا يعملون خارج ايران في حقول النفط في باكو، والاطلاع على ما كان يحدث من تطورات بعيداً عن إيران التي أحيطت بهالة كبيرة من العزلة (حسين ملكي زاويش، 1370ش، ص78). ناهيك عن سياسات الدول الأجنبية المتمثلة بـ (روسيا – بريطانيا)، حامية المصالح الاقتصادية والسياسية في إيران (جمشيد ضرغام بروجتى، دولتهاى عصر مشروطيت، 1350 ش). هذا اذا اضفنا عوامل خارجية أخرى منها الرحلات الشاهنشاهية لناصر الدين شاه (1848– 1896) ، وابنه مظفر الدين شاه (1896– 1907)، وأثر تفاعلات مرحلة الامتيازات (حسين ملكي زاويش، 1370ش، ص20)، والقروض والاستقراض الداخلي والخارجي من البنوك الروسية والبريطانية على حدٍ سواء كلها ادت الى انضاج فكرة الثورة في العقلية الإيرانية. وهكذا من خلال التمعن بالعوامل الخارجية السالفة الذكر كل ذلك ادى الى ولادة ردود فعل عند الشعب الإيراني ضد الحكم القاجاري والمتنفذين والمؤيدين له (علي اشرف نظري، 1368ش، ص48).

فالعوامل الداخلية التي كانت العمق الحقيقي للثورة الدستورية وانها أساس التحول في ايدلوجية ووعي وفكر الشعب الإيراني؛ تركزت في الغالب حول وجود المثقفين والمتنورين من رجال الدين المصلحين والوعاظ والخطباء والوطنيين، قد عجل من الحركة الدستورية واندلاع شرارتها، وإذا ما كانت الحركة في بداياتها الاولى غير منظمة ومتفرقة وعفوية وبدون انسجام؛ فإنها بعد مرور مدة وجيزة على قيامها لاسيما الأشهر الاولى أخذت تظهر ملامح وطنية بصورة واضحة (حسين مكي

زاويش، 1370ش، ص47)، أما قادتها فقد شارك في أحداثها مختلف أطياف الشعب الإيراني من رجال الدين والتجار (البازار)، والكسبة والطلاب وأصحاب الحرف والمهن، وفئات الشعب الإيراني جميعاً، كما شاركت الجمعيات السرية، التي كانت تطالب بتدوين القانون الأساس، وتأسيس دار للعدالة (زانت آفاري، 1371ش، ص404؛ علي اشرف نظري، 1368ش، ص48)، وبذلك عد رجال الدين الثورة الدستورية فرصة مناسبة لتضمين الأحكام الشرعية السماوية فيها، وعدها المتنورون والمثقفون فرصة لنشر الحرية والديمقراطية (بهمن انصاري، 1376ش، ص14).

ثانياً. تقييم دور رجال الدين والخطباء في الثورة الدستورية:

مثل نشاط ودور بعض رجال الدين من العوامل الداخلية والمؤثرة في الثورة الدستورية الإيرانية، فلهم الدور في تعريف الشعب الإيراني بحقوقه، وحقه في توفر أبسط متطلبات العيش على وفق ما أقرته الشريعة الاسلامية، وضرورة ابعاد الأجنبي عن كل ما هو ملك للشعب الإيراني، وكان أبرزهم الميرزا نصر الله (ملك المتكلمين) (ت 1908) وسيد جمال الدين الواعظ الأصفهاني (ت 1908)، والحاج ميرزا يحيى دولت آبادي (ت 1929) وعدد آخر من مؤيدي الدستور. وكانوا يجتمعون مع عدد آخر من أنصارهم للتشاور بشأن معارضتهم للحكم القاجاري، واسفرت جهودهم الى إشعال فتيل الثورة (سيد مقداد ونبوي رضوي، 1393ش، ص232). كما تقدمت الثورة ونجحت بجهودهم، حيث أقدمت هذه المجموعة بخطوة جريئة لا سابق لها باجتماعهم في بستان (سلمان خان) سرا، أواخر سنة 1904، وانتخبوا السيد (سلمان خان)، رئيساً لهم، واستمروا بالاجتماعات السرية، واسفرت بعدها عن التوقيع على بيان ينص على (محاربة البلاط) (سيد مقداد ونبوي رضوي، 1393ش، ص233)، وقد تضمن البيان كذلك (18 مادة)، وقع عليها جميع الحاضرين، وسميت في المصادر الفارسية (باغ مكيدة) أو (مؤامرة البستان)، كما استطاع رجال الدين أيضاً تأليب الرأي العام عبر القاء الخطب في مجالس الوعظ وكتابة الرسائل وارسالها الى خارج البلاد يوضحون فيها ما يعانيه الشعب الإيراني من أوضاع قاسية وبائسة (سيد مقداد ونبوي رضوي، 1393ش، ص234).

فقد أرسل آية الله العلامة السيد أسد الله خرافاني (ت 1936) كتابا الى النجف الأشرف يدعو فيه السيد محمد كاظم الخراساني للدخول والمشاركة في الثورة الدستورية (مهدي ملك زادة، 1383ش، ص245– 254). كما أدى رجال الدين دوراً واضحا ومتميزا في تحريض تجار طهران على إعلان معارضتهم للحكومة (مهدي ملك زادة، 1383ش، ص253–255)، واعلان غلق الأسواق والإضراب عن فتح الدكاكين والمحال في (البازار) وعدم ممارسة الأنشطة التجارية نكايةً بالشاه وحاشيته، فضلا عن الاتصال برجال الدين المعارضين من الذين كانوا لديهم مخاوف من المشاركة بالثورة الدستورية

(مهدي ملك زادة، 1383ش، ص273). كما اعلن بعض رجال الدين أيضاً اضرابا عن تنفيذ المعاملات الشرعية، وأعلنوا اعتصامهم (البست) في المساجد والجوامع الكبيرة، مع التأكيد على ضرورة تقديم المساعدة المالية لمعارضي الحكومة.

فيما أرسل عدد اخر من رجال الدين رسائل الى الأبن الأكبر للشيخ فضل الله نوري للوقوف الى جانب المتحصنين في مدينة الري(مهدي ملك زادة، 1383ش، ص275)، وبادر بعض رجال الدين الى ارسال وفود الى الشاه محملين بعرائض ورسائل خطية تحمل تواقيع وتأييدات للمشروطية، مطالبين بضرورة اصدار وثيقة أو عهد يؤيد فيه الشاه هذا الاتجاه وما ينتج عنه من ممارسات، واطلاق الحريات بشكل يتوافق مع الحياة البرلمانية والدستورية التي يطمحون لها (مهدي ملك زادة، 1383ش، ص285). ومن الشخصيات الدينية التي كان لها دور واضح في تاييد الثورة الدستورية الملا محمد كاظم (الأخوند الخرساني) (ت 1911م) والسيد حسين ميربور طهراني(1917) والشيخ عبد الله المازندراني (ت 1912) والحاج ميرزا حسين خليلي طهراني (ت1908م)، وكان هؤلاء أدوا دوراً كبيراً من خلال ارسال الرسائل والبرقيات الى الزعماء الدينيين والسياسيين الإيرانيين ونشر بيانات يوضحون فيها الأحداث السياسية والاجتماعية الايرانية، كما كانت لبروز شخصيتين مهمتين متمثلتين بالسيد محمد الطباطبائي (ت1920م) والسيد عبد الله البهبهاني(ت1919م) أدتا دوراً رئيساً في مجريات الأحداث الأولى، وجلسات ومحاور النقاش في مجلس الشورى الوطني بدورته الأولى والثانية، وجهودهما في بعض الأحداث الجسام في تاريخ الثورة الدستورية الإيرانية ومواجهة رجال الدين الموالين للسلطة القاجارية ممن اتهمتهم القوى الوطنية والشعب الإيراني بالعمالة وخيانة الشعب الإيراني، ونذكر مثال على ذلك هو فضل الله نوري الذي ترأس فئة العلماء الموالين للشاه وحاشيته، والذي أعدم عند فتح طهران سنة 1909م بعد نجاح الثورة وقبل نهايتها، فكان فضل الله نوري من جهة يعلن أن الحرية أهم مصدر ديني وتشريعي ذكر في القرآن الكريم، لكنه من جهة اخرى كان يعتقد أن الحرية المطلقة شيء خاطئ ووهم، بل انه عدّ الكلام والحديث عن الحرية في الاسلام (كفر) حين قارن الحرية بالكفر، ما يمكن ان نستنتج ان الشيخ فضل الله نوري متوافق ومؤيد للحريات المضافة، ويقبل بها ولكننا لا نرى بدقة في كلامه مثل هكذا نتيجة لانقلابه عليهم (Ramazani, 1966, P. 86.)، وهو اساساً ليس فقط معارضا للحريات المضافة، بل حتى انه اقترح حذف مصطلح (الحرية) من البحوث والنشريات الموجودة آنذاك، وعبر عن ذلك قائلاً: "اذا تسمعون مني يجب عليكم حذف كلمة حرية لأن عاقبة ونتائج هذه الكلمة ستفضحنا" (Ramazani, 1966, P.

(.26. وكان لفئة المثقفين والمتنورين أيضاً دور مهم ومكمل، لا يقل أهمية عن دور رجال الدين في احداث الثورة الدستورية.

ثالثاً. دور المثقفين والمتنورين في الثورة الدستورية:

كانت كتابات بعض المتنورين والمثقفين من امثال اقبال الحاج وزين العابدين المراغي وميرزا عبد الرحيم طالبوف التبريزي (1834–1911)، وميرزا فتح علي اخوند زاده (1812–1878)[1]، وميرزا ملكم خان (1833–1908)[2] وميرزا اقا خان كرماني (1854–1897)[3]، والسيد جمال الدين اسد آبادي (الأفغاني) (1838–1897) وغيرهم دوراً سابقا جهز الأرضية لأحداث الثورة الدستورية، لاسيما كتابات السيد جمال الدين وملك المتكلمين التي ايقظت الشعب الإيراني على الظلم والاستبداد وضرورة تحقيق العدالة والمساواة والحرية (سيد مقداد ونبوي رضوي، 1393ش، ص333)، من خلال اطلاعهم على الثقافات والنظريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أنظمة الحكم في أوربا والعالم، وشعورهم بالمسؤولية الوطنية اتجاه بلدهم وشعبهم، فرّكزوا جلّ اهتمامهم على التخلص من الواقع المرير الذي كان يعانيه الشعب الإيراني بكامل أطيافه، من خلال الأفكار التي تبنوها، فاستطاع المثقفين والمتنورين زعزعة نظام الاستبداد في إيران الذي كان حكم آلاف السنين بمختلف التسميات والأسر من خلال اطروحاتهم التي لقيت اقبالا عليها من القوى الوطنية وافراد الشعب الإيراني، وكنتيجة حتمية؛ نجحت هذه الفئة في نشر مبادئها بين فئات في ضرورة ان يحكم الشعب نفسه بنفسه، وأن تصبح مقدرات الحكم بأيدي الشعب نفسه مع ضرورة وضع القوانين التي تتلاءم وأخلاق الشعب الإيراني وعاداته (علي أشرف نظري، 1368ش، ص50؛ مهدي ملك زادة، 1383ش، ص21.)، وهكذا بدأت فئات الشعب الإيراني تحمل ثقافات وآيدلوجيات مختلفة وبفضل تلك الأفكار اشتركت بالثورة الدستورية جموع العلماء والوعاظ من رجال الدين والاشتراكيين والديمقراطيين وبقية الأفراد والنساء والتجار والطلاب والعمال والكسبة وحتى الإقطاعيين (علي أشرف نظري، 1368ش، ص50؛ زانت آفاري، 1371ش، ص3.)، وعن طريق قراءة تلك الأفكار وانتشارها بين الفئات المذكورة من الشعب الإيراني عن طريق الصحافة التي أدت وظيفة اتصال بين قادة الثورة والشعب الإيراني.

(1) كاتب مسرحي وأديب وشاعر محترف من رواد الحركة التقدمية القومية الايرانية أثرت افكاره في قيام الثورة الدستورية.
(2) دبلوماسي وسفير وصحافي ومؤسس الماسونية في ايران، توفي في سويسرا.
(3) ناقد وأديب ومصلح ومفكر ايراني بابي وهو صهر صبح ازل، ولد في كرمان وتوفي في اسطنبول بتركيا.

رابعاً. تقييم دور الصحافة في الثورة الدستورية:

أدت الصحافة ورؤساء تحريرها دوراً واضحاً قبل الثورة الدستورية الإيرانية وبعد انطلاقها، مثل صحيفتي (حبل المتين) و(جمهرة نما) وغيرهما، ونشرت من خلالها أفكاراً ثورية وإصلاحية، كرّس كتابها في أعمدتها المختلفة، بأنه لن يهدأ لهم بال حتى ايجاد الدستور في إيران ونجاحه، وهكذا يلمس أن الصحف التي كانت أغلبها يطبع خارج البلاد، كان لها دور مهم في ازدياد المطالبة بالحرية ومعارضة الاستبداد، وتذكر في كل مرة في مقالاتها أن الشعب يجب أن لا ينسى حادثة اغتيال ناصر الدين شاه سنة 1896، على يد ميرزا رضا كرماني (ت 1896) الذي أعلن ان هدفه من عملية الاغتيال، قطع جذور الظلم والفساد، عن طريق التخلص من الاستبداد في الشارع الإيراني ("شرق"، (روزنامة)، 1395ش، ص6.)، وأدت الصحافة دوراً في بيان رأي القوى الوطنية وتغطية تصريحاتهم في المجلس الأول والثاني في الحياة الدستورية (مجلس الشورى الوطني الإيراني)، مع تشخيص أعداء الثورة المتمثلين بالشاه وحاشيته والقوى الأجنبية (روسيا – بريطانيا)، أو رجال الدين المنادين بـ (المشروعية)، وأدت الصحافة واجباتها من بداية الثورة حتى نهايتها في إيصال الأخبار الى جميع فئات الشعب الإيراني داخلياً. كما كان لها دور خارج ايران يضاهي دورها الداخلي، في إيصال أخبار الأوضاع والظروف والأحداث التي كانت تعصف بالبلاد (أكبر ثبوت، 1392ش، ص258.).

لم تكن جميع الصحف الموجودة آنذاك موالية للدستوريين، فيذكر السيد جمال الدين الواعظ أن بعضها كان يدار من عناصر وصفهم بالرجعية، وقام هؤلاء بوصف الدستوريين بالبابيين (نسبة الى العقيدة البابية) بغضاً وتشويهاً للدستوريين ونجاحاتهم التي حققوها وتقليل شعبية الدستوريين ومؤيديهم (أكبر ثبوت، 1392ش، ص258–259، سيد مقداد ونبوي رضوي، 1393ش، ص335.)، وبهذا نرى التأثير الذي تركته الثورة على الجمعيات التي طفت على سطح الأحداث بعد نشر أخبارها عن طريق صحافتها أو الصحافة الأخرى، هذا الى جانب ظهور الجمعيات على مسرح الأحداث السياسية دلالة على بواكير العمل المنظم للجهات الثورية ضد الطغيان.

خامساً. تقييم دور الجمعيات السرية والثورية في الثورة الدستورية:

مثل ظهور الجمعيات تطور بالغ الأهمية في الحياة البرلمانية والدستورية في إيران، عندما تبنت تلك الجمعيات آراء وأفكار وايديولوجيات مختلفة، وليست موحدة، كونها كانت سرية وغير موحدة، على أن جذور حركة التنظيم السري للجمعيات كان خارجيا، من خلال عمل بعض العناصر الوطنية الإيرانية في الخارج، فيلاحظ مثلا ان جمعية (باغ مكيدة)، على سبيل المثال كان رئيسها سلمان خان، لكن سرعان ما أعقبه في قيادتها الشيخ محمد مهدي شريف كاشاني (ت 1954) (مهدي ملك

زادة، 1383ش، ص240؛ سيد مقداد وتبوي رضوي، 1393ش، ص333)، التي قال عنها السيد جمال الدين الواعظ الأصفهاني: "**أن نصف أعضائها المنتمين كانوا من البابيين، وهؤلاء كانوا يسيطرون على هذه الجمعية**"(مهدي ملك زادة، 1383ش، ص236)، ويذكر المؤرخ ملك زادة قائمة بأسماء اعضاء جمعية (باغ مكيدة)، في كتابه (زندكاني ملك المتكلمين)، كما يذكر إشارة الى دورهم المهم والفاعل في كتابه (انقلاب مشروطيت ايران)، وعدّ أعضاء هذه الجمعية القلب النابض للثورة الدستورية (سيد مقداد ونبوي رضوي، 1393ش، ص342)، التي أدت دوراً محورياً من خلال المراسلات بين النجف الأشرف وطهران لتأييد الثورة، مع مساندة وتحريض التجار في البازار على الاضراب والعصيان ناهيك عن ارسال التهديدات المباشرة لمظفر الدين شاه، لإرغامه على اصدار فرمان ملكي بتأسيس مجلس شورى وطني، ودار للعدالة، فضلا عن دورها في مساندة الثوار مالياً ومعنوياً (مهدي ملك زادة، 1383ش، ص285–189).

وبرزت في خضم الأوضاع المتسارعة خلال سنوات الثورة الدستورية جمعية تبريز، وجمعية حراس بوابة قزوين وجمعية ثوار اصفهان وغيرها، لكن جمعية تبريز (انجمن تبريز) كانت هي الأشهر والأبرز، والتي كان مركزها تبريز فيما انشئت لها فروع في أصفهان وفارس وكرمان وكيلان وشيراز، كما برزت عدد من الاتحادات والمنتديات في تلك المراكز. بمعنى ان تبريز كانت مهد الثورة لما عرف عنها من كرهها للقوى الأجنبية لاسيما الروسية، وكره أهلها لسياسات الشاه الاستبدادية، سواء خلال بدايات الثورة الدستورية أو في مراحلها المتأخرة، فقد ظهرت شخصيتان دعمتا وأضافتا لشهرة تبريز، من خلال المواقف السياسية الثورية، إذ تتفق جميع المصادر على تسمية الدستوريين الأذربيجانيين ستار خان (1866–1914)[4]، وباقر خان (1861–1916)[5] بـ (المجاهدين)، وفعلاً فالوصف منطبق على الموصوف، إذ لا ينكر دور جمعية تبريز ورجالها في دعم الدستوريين ليس اعلامياً فقط، بل عسكرياً وسياسياً عن طريق ممثلي إقليم أذربيجان وتبريز بالمجلس الوطني الإيراني، سواء من خلال مواقفها من إقالة الوزراء أو عموم الوزارة وتنصيب أخرى أو التعديلات الوزارية، مثال ذلك مساندة النائب السيد حسن تقي زادة (ت 1970م)، بالاستجوابات والآراء التي طرحها خلال المدة (1905 – 1911) (البديري، تاريخ الوزارات الإيرانية، 2019، ج4، 5، 6). كما لم تكن الجمعيات

(4) ولد في تبريز وتوفي في طهران ودفن فيها، وهو ستار خان بن الحاج حسن قراجه داغي ويلقب ستار خان قره داغى او سردار كندي، انتمى الى حزب المعتدلين الاجتماعيين.

(5) هو ابن الحاج رضا باقر خان، ولد في تبريز وتوفي في قصر شيرين، وكان من ابرز الاعضاء المعتدلين الاجتماعيين، له من الابناء ابراهيم خان وحسين خان وحسان خان وصادق خان.

حصراً على الذكور، فقد شاركت المرأة بالنضال مع الدستوريين والانضمام الى الجمعيات الثورية، وسوف يتم التعرف على ابرز تلك المشاركات من خلال تقييم دور المرأة في الثورة الدستورية.

سادساً. تقييم دور المرأة الإيرانية في الثورة الدستورية:

فكما كان لفئات المجتمع الإيراني دور بارز في الحياة الدستورية في ايران؛ كان للمرأة أيضا دور مهم في مجريات الثورة الدستورية وحوادثها، لاسيما المتنورات منهن، حيث اشتركن في معارضة الاستبداد والظلم، وذكر مؤرخي الثورة الدستورية امثال أحمد كسروي تبريزي (ت 1945م)، ملك زادة، وفريدون آدميت (ت 2008م)، ونظيم مافي (1924–2009)، وميرزا هاشم محيط مافي، وناظم الاسلام كرماني (ت 1918)، وابراهيم صفائي الملايري (ت 1919)، ويحيى دولت آبادي (ت1939) في مؤلفاتهم اشارات الى دور التشكيلات النسوية في الثورة الدستورية (عبد الحسين آذر، 1389ش، ص95؛ بهمن انصاري، 1376ش، ص14.).

كما كان للنساء أيضاً دور في إقامة التحصينات عامي 1905 – 1906، في طهران وبقية المدن، فضلا عن تأسيس عشرات المدارس والجمعيات النسوية آنذاك، حتى ان موركان شوستر (نقل از: يونس پارسا بناب، بي تا، ص42) أشار في كتابه (اختناق ايران) الى تلك الجمعيات حين قال: "**إن تلك الجمعيات كان لها تشكيلات منظمة، حتى انه كانت له اتصالات مع تلك الجمعيات**" (عبد الحسين آذر، 1389ش، ص95). ومن تلك الجمعيات، جمعية النساء الحرّات 1907 (يونس پارسا بناب، بي تا، ص36)، وجمعية مُخَدَرات الوطن (انجمن مخدرات وطن) 1909 (يونس پارسا بناب، بي تا، ص36، 95)، وجمعية نساء ايران (نسوان ايران) 1910 (عبد الحسين آذر، 1389ش، ص95)، اللاتي أدين دوراً في حملة تبرعات، فباعت النساء حليّهن ومجوهراتهن لتوفير المال اللازم لتأسيس البنك الوطني بعدما طرحت فكرة (معين التجار) اراب جمشيد، بضرورة أن يكون هناك بنك وطني إيراني على حد تعبير كسروي (احمد كسروي، 1425 هـ ق، ص181–182).

ومما يذكر أنه نتيجة المعارك التي دارت بين الدستوريين والقوات الحكومية في تبريز؛ تم العثور على جثث لعشرين امرأة مستشهدات، وهن في لباس الرجال وسط سوح المعركة، كما سجل في العاصمة طهران قيام إحدى النساء باغتيال أحد رجال الدين الموالين للنظام في طهران (Mangol Bayat – Philip, 1988, P. 201.). كما حاولت ثلاثمئة امرأة خلال الأزمة التي حدثت سنة1911، وهن يحملن السلاح أمام مجلس الشورى الوطني، وهن يلتمسن من الحكومة السماح لهن بالمشاركة في معارك المقاومة المزعومة أمام الانذار الروسي (Morgan Shuster, 1912, PP. 196-198.)

وهكذا اتضحت تضحيات المرأة الإيرانية حتى في نيل الشهادة مقابل الحياة الدستورية، فلم يقل شانها عن رجل الدين أو الفلاح أو المثقف الإيراني.

سابعاً. تقييم اعضاء الدورة الأولى وأحداث حلّ المجلس الوطني:

بذل أعضاء الدورة الأولى للمجلس الوطني جهداً استثنائياً لإصلاح الأوضاع في إيران بصورة عام، وفعلاً نجحوا في طرد المسيو جوزيف ناوس (Joseph Naus) (1849–1920)[6] والمسيو بريم (Monsieur Preime)[7] البلجيكيين، كما نجحوا في عزل وزير الخزانة عن منصبه، وواجهوا بقوة الايدي الروسية التي تنفذ السياسة الروسية الداعمة لناوس والشاه في آن واحد، وبذلك أخذ الروس بالتحرك لتقويض الحركة الدستورية ومساندة الشاه (محمد علي) ومؤيديه في جهوده لحل المجلس الوطني الإيراني، ومساعدته في التخطيط ووضع الخطط للسياسات القادمة، وكان شابشال[8] والكولونيل لياخوف قائد فرقة القوزاق والأمير بهادر جنك[9]، وغيرهم من أركان الرجعية المساندين للشاه والحكومة الروسية القيصرية. واستطاع هؤلاء الضغط على الوزراء ورؤساء الحكومات التي لها مصالح تلتقي ومصلحة الشاه وروسيا والذين سعوا لحل المجلس وتأخير العملية الدستورية التي أصبحت خطراً على مصالح روسيا والشاه بالدرجة الأولى، فأقدم الشاه على عزل ميرزا حسين خان (مشير الدولة) (1827–1881) من الصدارة العظمى، ونصب محله أمين السلطان (أتابك أعظم) (ت1907) الذي بقي صدراً أعظم عدة سنوات خلال عهد الاستبداد، بعد أن استدعاه محمد علي شاه من أوربا، وتم نصبه صدراً أعظم، لكن أمين السلطان هذا تم اغتياله على يد شاب يدعى عباس آغا تبريزي (اكبر ثبوت، 1392ش، ص290؛ سيد مقداد ونبوي رضوي، 1393ش، ص333؛ يونس پارسا بناب، بي تا، ص51.)، واستمرت المؤامرات والدسائس لزعزعة جبهة الدستوريين واضعافهم بمكر ودهاء اتصفت بها خطط الشاه وأعوانه من الروس بغية أحداث الأزمات وارباك المجتمع الإيراني واغراقه بالهموم والمشاكل، ومنها انتشار ظاهرة الاغتيالات وفقدان الامان، فضلا عن اصرار

(6) شخصية استبدادية بلجيكي الجنسية عمل لصالح السفارة والحكومة الروسية، عمل على تنظيم امور الكمارك والايرادات الايرانية لتسوية مبالغ القروض الروسية مع فوائدها، عمل لصالح روسيا في وضع جميع الصادرات والرسوم الايرانية الشمالية تحت تصرف روسيا.

(7) بلجيكي الجنسية وهو مساعد المسيو ناوس في ادارة الكمارك والبريد والتلغراف تعرض لمضايقة الحكومة الايرانية وطرده البرلمان الايراني مع ناوس بعد ان عينت الثورة الدستورية نوابا.

(8) معلم الشاه محمد وخادمه منذ صغره، وهو عميل روسي ومعادي للدستورية ومناصر للاستبداد القاجاري، شارك في احداث المجلس الوطني الايراني الاول في فترة الاستبداد الصغير.

(9) قائد الحرس الخاص للشاه وعميل روسي من الطراز الاول، وضع خطة مع السفارة الروسية ومع قوات القوزاق في ضرب الثورة الدستورية والمجلس الوطني الايراني وعمل على ايصال وتنفيذ جميع الخطط الروسية ولجأ الى السفارة الروسية مع شابشال في اوقات الازمات طلبا للحماية واللجوء.

الشاه على تكليف رؤساء وزارات من اعداء الدستور أو من ذوي الماضي غير المشرف من الخونة والسراق الذين عاثوا بمقدرات الشعب الإيراني فساداً، أو قيام الشاه بتقريب جهات ذات ميل واضح لروسيا القيصرية مع خلق فتن واضطرابات خلال الثورة الدستورية، كما أن تدخل الشاه بصورة مباشرة لتعيين وزراء الداخلية وإصراره عليهم قد خلق فجوة وصدع في العملية السياسية لا يمكن رأبه بسهولة، ولم تنتهي سلسلة الخلافات بين الشاه والدستوريين، فلقد عمد الشاه على محاربة الصحافة الدستورية أو الناقدة له ولحاشيته، وقرب ودعم رجال الدين المناهضين للدستور والمتمسكين بالمشروعية بصورة أو بأخرى، كما حصل ما بين 1907 – 1909، حين دعم الشيخ فضل الله نوري قبل حادثة اعدامه. وبعد عدم الوصول الى نتيجة في حادثة اغتيال الشاه المفتعلة التي تعرض لها، وبعد جمع الحجج واعداد خطة روسية من الطراز الأول للإيقاع بالدستوريين وثورتهم، وتم اتخاذ ما يلزم وأخذ الشاه القرار لإنهاء الحياة الدستورية في ايران، وذلك بقصف مجلس الشورى الإيراني في 23 حزيران 1908 (يحيى دولت آبادي، 1413هـ ق، ص302.) .

سميت الوزارة التي شكلت بوزارة القصف (أو حكومة القصف) (البديري، تاريخ الوزارات، 2019، ج5، ص281–340.)، التي كان يديرها بدون تنصيب رسمي سبهدار أعظم (محمد ولي خان)، مع مشاركة الحاكم العسكري لطهران لياخوف القائد الروسي لفرقة القوزاق، الذي كان له الدور المهم والكبير مع أمير بهادر جنك وشابشال في قصف مبنى المجلس وقمع الثورة الدستورية، وبعد الهجوم على بناية المجلس الوطني، ووقف اطلاق المدافع عليها، زادت الاعتقالات وأعدم عدد كبير من الأحرار، وواجهت الثورة هزيمة وانكسار، بعد أن لقي العديد من الأحرار حتفهم اختناقا داخل نيابة المجلس على أثر القصف المدفعي، وهرب بعضهم الى خارج إيران. ومن أهم أسباب هزيمة الدستوريين وانكسارهم؛ تشتتهم وعدم التجهيز والتهيئة لمثل هكذا عمل مضاد، فضلا عن تفرق الحامية العسكرية المسؤولة عن حماية المجلس والتي غادرت بأمر من بعض الأعضاء الذين لم يتوقعوا ان تصل المرحلة الى المواجهة العسكرية مع الشاه، بل أعطوا أوامر بالانسحاب من حول المجلس لامتصاص الغضب والمحافظة على المجلس والصفة الدستورية في البلاد، وكأن الأمر قد دبر مسبقاً، وبهذا أصبحت الأمور مهيأة وجاهزة للشاه لهزيمة الدستوريين ومؤيديهم بصورة مباشرة (اكبر ثبوت، 1392ش، ص291؛ مهدي مجتهدي، 1357 ش، ص179.).

وجاءت الأحداث متسارعة وظهرت مدة بعد قصف مجلس الشورى الوطني سميت (فترة الاستبداد الصغير)، التي لم تكن منفصلة عن أحداث ثورة تبريز في شمالي إيران.

ثامناً. تقييم (فترة الاستبداد الصغير) وثورة تبريز:

كانت لهزيمة الدستوريين في طهران وقع مؤلم ومحزن في نفوس الشعب الإيراني، فيما كانت بالنسبة للشاه عهداً جديداً، وفي تلك المرحلة حكم محمد علي شاه، حكماً استبدادياً لم يسبق له مثيل، فقد حول الشاه حاشيته والموالين لهم دولة بحد ذاتها تنكيلاً بالدستوريين وتقرب أكثر للجانب الروسي، وأخذ يخطط معها الى ضرب الحركات المناوئة له ومواقع الدستوريين في إيران خصوصاً في الشمال الإيراني، ووصف المجاهدين التبريزيين بأنهم مجرد حثالة وأوباش أو انهم من أتباع البابية، حيث كانت هذه التسمية أو التهمة إذا صح الأمر تلقى على كل شخص دستوري يعد (بابي) (ناصر دولت آبادي، بي تا، ص34؛ يحيى دولت آبادي، 1413هـ ق، ص112، 270، 318.)، لذلك اتهم رجال الدين والتجار والمثقفين بهذه التهمة لزعزعة مؤيدي الدستوريين فقد كانت التهم الموجة لهم تكال بالمكيال، وفعلاً حتى بعد تأليف الأحزاب بعد انتهاء مرحلة الاستبداد الصغير، وظهور حزبين، معتدلون وديمقراطيون، اتهم البعض النائب حسن تقي زادة، بالكافر أو الملحد لإيمانه وتبنيه الأفكار الليبرالية والدستورية، كما اتهم الكثير من لدستورين أو مؤيدي الحركة الدستورية بالإتهام نفسه (يحيى دولت آبادي، 1413هـ ق، ص270–318.)، وعلى أية حال توافقت الحكومتان البريطانية والروسية الى تبريز بحجة كسر الحصار وحماية الرعايا الأجانب فيها وإيصال الطعام والمؤونة لهم، ومع دخول القوات الروسية الى تبريز، انتهى الحصار الذي فرضه الشاه بعد المقاومة الشديدة التي ابداها المجاهدين بقيادة ستار خان وباقر خان مؤيدي المشروطية والحياة البرلمانية، وطالب المجاهدون من تبريز بضرورة إعادة العمل بالدستور وفتح المجلس الوطني الإيراني وتوفير الأمان واصدار عفواً عن المشاركين بالثورة في تبريز وكذلك تعويض التجار...(احمد كسروي، تاريخ هيجده، 1425 هـ ق)، الى الشاه وبضغط روسي على الشاه للاستجابة لتلك المطالب، وطبعاً ووفقاً لمصالح بريطانيا وروسيا التي تتطلب الاستقرار وإعادة الأمن والهدوء الى مناطقها في الشمال والجنوب، بعد تعرض مصالحها التجارية للانهيار والخسائر الكبيرة التي منيت بها جراء قطع الطرق وتوقف القوافل التجارية، أضف الى ذلك غلق الموانئ الشمالية والجنوبية بسبب عدم توفر الأمان واضراب التجار وفئات الشعب ممارسة الحياة الاقتصادية ومقاطعة البضائع الأجنبية. وبعد خروج قوات الشاه من تبريز وهذا لا يعني انتهاء الرجعية أو انتصارها، حيث استمرت جهود الأحرار في مقارعة النظام الاستبدادي في مناطق اخرى من ايران (اكبر ثبوت، 1392ش، ص292.)، جاءت مرحلة جديدة بعد انتهاء أزمة تبريز وكانت تلك المرحلة أكثر حساسية من ذي قبل، وهو ان الشاه وحاشيته امتعضوا كثيراً من اصرار وثبات الدستوريين في موقفهم وسياستهم لاستمالة الرأي العام الداخلي والخارجي ولإعادة الحياة

الدستورية وفتح المجلس الوطني مرة أخرى (يونس بارسا بناب، بي تا، ص75.)، ولفتح طهران نقطة مضيئة في تاريخ الحياة البرلمانية، جعلت الثقة تعود لنفوس الدستوريين مرةً أخرى.

تاسعاً. تقييم فتح طهران وفتح المجلس الوطني الإيراني الثاني:

كان للمجاهدين وقيادتهم من قبل ستار خان وباقر خان وانضمام العشائر وقيادة سيهدار أعظم، دوراً مهماً في فتح طهران، وبعد تنفيذ خطة محكمة لمواجهة تحصينات الشاه، دخلت قوات المجاهدين الى العاصمة طهران ومن محاور متعددة، ووصلت الى ساحة بهارستان (مكان المجلس الوطني الإيراني)، وجعلت منه مكان ومقر العمليات العسكرية، وكان ذلك في تموز 1909، لجأ الشاه وأعوانه الى السفارة الروسية، ومن ثم خلعه من العرش الإيراني وتنصيب أحمد شاه (شاها على إيران)، علماً انه كان أي احمد شاه تحت الوصاية لعدم اكتمال سنه القانوني، وكانت الوصاية لعضد الدولة (نائب سلطان)، علي رضا خان (يونس بارسا بناب، بي تا، ص77-78.)، وبعد ذلك افتتح المجلس دورته الثانية، بعد عام من حل المجلس وكان هناك قلق كبير من الدستوريين وأعضاء المجلس من بقاء القوات الروسية على الأراضي الإيرانية، وعلى الرغم من أن الروس كانوا قد وعدوا الحكومة الإيرانية بالانسحاب، ولكن القوات بقيت في إيران، وكانت تقوم كل يوم بمفاسد أو تمردات وتحريضات أو احداث مشاكل جديدة، وان جميع ما تعرضت له طهران ومدنها كان بمخطط روسي مباشر أو غير مباشر، وفي هذه الفترة لم يؤدِ المجلس الإيراني الثاني أي إنجاز أو عمل مهم ("شرق"، روزنامة، 1395ش، ص7-10.)، سيما وان أغلب اعضائه كانوا من الأشراف والاقطاعيين، وهو في تركيبته الجديدة أصبح بعيداً كل البعد عن واقع الشارع الإيراني، فلقد كان المجلس الثاني يضم شخصيات لرؤساء القبائل والأقليات وبعض المشاركين بفتح طهران ومن الاقطاعيين (فيروزراد وجواد شيخي، 1393ش، ص93-94.)، كما اسلفنا أعلاه، حسب ما جاء من تغييرات بالدستور وقانون الانتخابات الجديد بعد عهد الاستبداد الصغير، ولكن هنا كانت غالبية فئات الشعب لم تكن ممثلة وحاضرة في مناقشات المجلس، مثلما كان بالمجلس الأول، وباتت الشخصيات الجديدة غير فاعلة في جانب الطرح والاستجواب وأخذ المجلس ينقسم على نفسه بعد ظهور تكتلات وتوجهات وتأليف الأحزاب كمعتدلون وديمقراطيون، وحتى اصبح يبرم خان الأرمني لديه كتلة وحزب خاص ومؤيد داخل المجلس، وهزت الحياة الدستورية آنذاك وبعد فتح طهران قضية، اعدام الشيخ فضل الله نوري بمحاكمة سريعة وهذا ما جعل التساؤلات والمشاكل تضع نواباً في مجلس محط الاتهام، ووصف اعدامه بالعداء الشخصي وسرعة محاكمته وتنفيذ حكم الاعدام به من لدن رئيس الافتاء الشيخ ابراهيم الزنجاني، كما كان في حادثة اغتيال السيد عبد الله البهباني مفاجئة ثانية هزت الحركة الدستورية ورجال الدين الذين

اتهموا المعادين لمبادئ الثورة وشخوصها، ولوحظ في هذه المدة أيضاً، سرعة تغيير الوزارات حيث وصلت اعمارها الى أكثر من شهر واحد، واستلام بعض الوزارات من قبل أشخاص لكثر من مرة أمثال (ناصر ملك)، (مشير السلطة)، (سبهدار أعظم) (علي اشرف نظري، 1368ش، ص53-60.)، وغيرهم وهذه الحالة لا تعني انهم ذو كفاءة أو تأييد من قبل المجلس فمن الممكن أن تلعب ظروف البلاد وحالة الصراع ما بين الشاه والمجلس والقوى الأجنبية (الروسية – البريطانية) (يراجع: البديري، إيران في السياسة البريطانية؛ الموقف البريطاني من الثورة الدستورية؛ فصول من تاريخ ايران، ج 1، 2013، ص102-136، وعن الامتيازات، فصول...، 2008، ص74-101.)، دوراً في تمرير هذه الوزارات ومن ثم وجودها واقالتها فيما بعد، ان الثورة الدستورية بالرغم من انها وجهت ضربة قوية لجسد الاستبداد ونجحت في اقرار المجلس والقانون لكنها انهزمت أما التخطيط الروسي الذي خطط منذ فتح طهران لاستقدام قوات ستار خان وباقر خان الى طهران تمهيداً لنزع سلاح المجاهدين الذي نظرت إليه روسيا والقوى الاستبدادية بنظرة من الخوف والقلق، وعندها أقدمت حكومة مستوفي الممالك التي جاءت الى الحكم بعد سبهدار أعظم على اصدار أوامرها الى القوات البختيارية، ويبرم خان الأرمني رئيس الشرطة بنزع سلاح المجاهدين، وترك سلاح الفرسان من البختياريين وباقي قوات القوزاق مع أسلحتهم، مما أثار حساسية بين الحكومة والمجلس (الدستوريين)، وقوات المجاهدين الداعمين للدستورية، وكانت الحجة هي حصر السلاح المنفلت بيد الحكومة ولكثرة عمليات السرقة وقطع الطرق والاغتيالات بشكل خاص التي القت اللوم والمسؤولية على عاتق المجاهدين حصوصاً بعد حادثة اغتيال السيد عبد الله البهبهاني، كما ظهرت الكثير من المشاهد التي ميزت هذه المرحلة الحرجة، ألا وهي دخول الولايات المتحدة الأمريكية على خط ارسال المستشارين الماليين لتنظيم واصلاح الوضع المالي الايراني الذي كان يعاني، طول مدة الثورة الدستورية وقبلها أزمة خانقة وحادة وافلاس الخزينة وانقطاع الرواتب وزيادة الرسوم والضرائب وتدني المستوى المعيشي للفرد الإيراني. ناهيك عن الاستقراض والقروض المأخوذة وفوائدها العالية التي بدورها ألقت بظلالها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في إيران، وفعلاً وصل موركان شوستر وفريقه الى إيران على رأس بعثة مستشارين ماليين في سنة 1910، واصبح يمارس أعماله بعد حصوله على صلاحيات تامة بناءً على طلب الحكومة الإيرانية (يونس بارسا بناب، بي تا، ص80-85؛ اكبر ثبوت، 1392ش، ص295، فريدون آدميت، بي جامابي تا، ص58-94؛ موركان شوستر، اختناق ايران، 1351 ش.).

عاشراً . الإنذار الروسي ونهاية الثورة الدستورية:

لم تقف روسيا مكتوفة الأيدي امام تطلعات الدستوريين بين بريطانيا وروسيا القيصرية، وجهت الأخيرة إنذاراً الى الحكومة الإيرانية في 7 تشرين الثاني 1911، وطلبت الحكومة الإيرانية طرد موركان شوستر من ايران بأسرع وقت ممكن، فكان جواب المجلس على الانذار هو الرفض في بداية الأمر، لكن في النهاية وافق المجلس على القبول بشروط روسيا القيصرية، وأغلق ناصر الملك أبواب مجلس الشورى الوطني واعتبره في عطلة، وفرضت الأحكام العرفية في ايران حيث ان ناصر الملك مع حسن خان (وثوق الدولة) (ت1951)، اتفقا بعد تعاونهما المتبادل على قلع جذور الحرية، ولم تنفع كل الاجراءات والاعتراضات، وبعدها أقدمت روسيا على احتلال تبريز وأعدمت أعدادا كبيرة من الوطنيين ومنهم (ثقة الاسلام) (يونس بارسا بناب، بي تا ص87؛ جمشيد صداقت نزاد، رؤياي صادقة، 1363ش.)، ونصّب الروس (صمد شجاع الدولة)، حاكما على أذربيجان. وهكذا بعد ست سنوات من النضال انطفأت أضواء الحركة الدستورية ونفي الرجال المخلصين لوطنهم، وجاء الى الحكم مجموعة من الرجال الأنانيين ومن أصحاب المصلحة الشخصية الى السلطة، وبعد حل المجلس وتعطيله وطرد شوستر من ايران، ازداد تدخل الأجانب في الأمور الداخلية الإيرانية، ووصل ذروته عندما حصل الروس على امتياز سكة حديد تبريز – جلفا، وحصول بريطانيا على امتياز سكة حديد المحمرة – خرم آباد (اكبر ثبوت، 1392ش، ص295-301؛ رحيم نامور، تاريخ انقلاب مشروطيت، 1358ش.).

الخاتمة:

إن ابرز ما توصلت إليه الدراسة هو، ان الثورة الدستورية الإيرانية تعد ثورة ولدت من رحم المجتمع الإيراني وكانت رد فعل على الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كان يعيشها المجتمع الإيراني آنذاك، وقد تأثرت الثورة بالحركات الثورية التي حدثت آنذاك في دول الشرق ضد الاستبداد، فكانت الثورة شاملة وعامة. فمع انها استطاعت ونجحت في تحديد السلطة المطلقة وتدوين القانون الأساس وتأسيس مجلس الشورى الوطني؛ إلا أنها لم تستطيع أن تحدث تغييرات عميقة في المجتمع الإيراني، بسبب كونها من الثورات الجديدة التي ينبغي ادراك أهميتها الجديدة من خلال دراستها بدقة وتمعن.

شارك بالثورة رجال الدين والتجار والعمال والفلاحون والكسبة والمثقفون والجمعيات السرية، كما كان للمرأة دور بارز في خضم الأحداث، فيما أعطت الكثير من الشهداء والدماء الإيرانية في سبيل بقاء مبادئها وأسسها، كما حصل في تبريز وطهران، لذا نجحت في زعزعة النظام القاجاري في ايران

بعد ردح طويل من الظلم والاستبداد، واستطاعت الثورة ومجلسها طرد جوزيف ناوس ورئيس الخزانة البلجيكي الهوية روسي الانتماء.

يسجل للثورة في تبريز صمودها لمدة أحد عشر شهراً ضد الحصار واستطاع المجاهدين اثبات عزيمتهم مما أزعج وارهب الشاه والقوى الأجنبية (بريطانيا – روسيا). ونادت الثورة الدستورية بإزالة الامتيازات الطبقية في المجتمع الإيراني وقلع المحسوبية، وفتحت الأبواب امام أفراد المجتمع الإيراني لإظهار نبوغهم وكفاءتهم لشغل المناصب. كما فتحت الباب على مصراعيه، لتلقي ونهل المعرفة والعلوم والدراسة أمام الطلاب الإيرانيين، حيث أسست المدارس وأرسلت ابناء الفقراء من فئات الشعب الإيراني للتعليم بعد ما كان حكرا على فئات معينة من ابناء الطبقة الحاكمة والمتنفذة والاغنياء.

المصادر:

أولاً . الكتب العربية:

1. أحمد شاكر العلاق، ايران في عهد أحمد شاه 1909–1925، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، 2008.
2. خضير مظلوم فرحان البديري، إيران في السياسة البريطانية 1896– 1921، العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2013.
3. خضير مظلوم فرحان البديري، تاريخ الوزارات الإيرانية في العهد القاجاري 1796 – 1925،ج4 و ج5 و ج6، العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2019.
4. خضير مظلوم فرحان البديري، فصول من تاريخ إيران الحديث والمعاصر(العهد القاجاري) ، ج1، مطبعة دار الضياء، النجف الأشرف، 2008.
5. خضير مظلوم فرحان البديري، الموقف البريطاني من الثورة الدستورية 1905 – 1910، مكتبة ابن رشد، الكوت، 2005.

ثانياً. الكتب الفارسية:

1. أحمد كسروي، تاريخ مشروطة ايران، بخش دوم، جاب بيستم، (جلد دوم)، انتشارات امير كبير، تهران، 1425 هـ.ق.
2. أحمد كسروي، تاريخ هيجدة سالهاذربيجان بازمانده تاريخ مشروطة ايران، (جهار بخش در يك كتاب، بخش أو، جاب بيست ويكم، انتشارات امير كبير، تهران، 1425 هـ.ق.
3. بهمن انصاري، انقلاب مشروطة آز آغا تا انجام، كتابخانة مجازي تاريخ بوك، 1376ش.
4. جمشيد صداقت نزاد، رؤياى صادقة حقايقي ناشتا خستة آز تاريخ مشروطيت ايران، جاب اول وجايخانة مهارت، تهران، 1363ش.
5. جمشيد ضرغام بروجتي، دولتهاى عصر مشروطيت، بى جان 1350 ش.
6. حسين ملكي زاويش، دولتهاي ايران در عصر مشروطيت (1285– 1357ش)، جلد اول، نشر اشارة، تهران، 1370ش.

7. رحيم نامور، تاريخ انقلاب مشروطيت، انتشارات جايار، تهران، 1358ش.
8. زانت آفاري، انقلاب مشروطة ايران 1906- 1907، ترجمة رضا رضايي، جاب سوم، نشر بيستون، تهران، 1371ش.
9. سيد مقداد ونبوي رضوي، مقدمة تاريخي در تاريخ مكتوم، انتشارات برديس دانش، تهران، 1393ش.
10. عبد الحسين ناهيدي آذر، ماتجار ودهقان ايران در عصر مشروطة خواهي، نشر اختر، تبريز، جاب اول، تهران، 1389ش.
11. فريدون آدميت، ايدئو لوزي نهدخت مشروطيت ايران، بي جامابي تا.
12. مهدي مجتهدي، تقي زادة در شتكر هاس او در مشروطيت، انتشارات دانشكاه، تهران، 1357 ش.
13. مهدي ملك زادة، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد دومةوسوم، جاب اول، انتشارات سخت، تهران، 1383ش.
14. موركان شوستر، اختتاق ايران، ترجمة: ابو الحسن موسوي شوشتري، مؤسسة مطبوعات صفي علي شاه، تهران، 1351 ش.
15. ناصر دولت آبادي، فهرست زائران، صبح ازل، جلد اول، بي جا، بي تا
16. يحيى دولت آبادي، تاريخ معاصر ايران حيات يحى، جلد اول ودوم، جاب بخم، انتشارات عطار، تهران، 1413هـ ق.
17. يونس پارسا بناب، تاريخ مشروطيت، بي جا، بي تا.
18. يونس مراويد، از مشروطة تا جمهوري، جلد يكم، جاب اول، انتشارات اوحدي، تهران، 1377ش.

ثالثاً / المصادر الأجنبية:

1. Mangol Bayat – Philip, women and revolution in Iran 1905-1911, No Edition, London, 1988.
2. Morgan shuster. W. The stragling of Persia story of the Europen Diplomacy and Griental Intrigue that Resulted in the Denatian al ization of twelve Million Mohammed aus, first Edition, London, 1912.
3. Rouhallah. K. Ramazani, the Foreign policy of Iran, university press of virgin ia, 1966.

رابعاً / المجلات الفارسية:

1. اكبر ثبوت، مشروطة خواهي وبابي كرى، مهرنامه، شمارة 33، تهران، 1392ش.
2. علي اشرف نظري، هويت مدرن وظهور كفتمان مشروطيت در ايران، فصلنامه مطالعات ملي، سال هشتم، شمارة 4، 1368ش.
3. فيروزراد وجواد شيخي، تحليل جامعة شاختي ماهيت، علل وقوع ويباموهاي جنبش مشروطيت در ايران، مطالعات علوم اجتماعي ايران، مجلة، سال يازدهم، شمارة جهلم، بهار 1393ش.

خامساً / الصحف الفارسية

((شرق)) روزنامة، تهران، شمارة 2647، به تاريخ 14 / 5 / 1395ش.